

التبيان في تفسير القرآن

(118) فكَذَلِكَ إِذَا بَلَغَ، وَلَهُ مَالٌ فِي يَدَوْصِي أَبِيهِ أَوْ فِي يَدِ حَاكِمٍ قَدْ وَلِيَ مَالَهُ، وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْلَمَ إِلَيْهِ مَالَهُ، إِذَا كَانَ عَاقِلًا، مُصْلِحًا لِمَا لَهُ، وَإِنْ كَانَ فَاسِقًا فِي دِينِهِ. وَفِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى جَوَازِ الْحَجْرِ عَلَى الْعَاقِلِ، إِذَا كَانَ مَفْسُودًا فِي مَالِهِ، مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ عِنْدَ الْبُلُوغِ يَجُوزُ مَنَعُهُ الْمَالُ إِذَا كَانَ مَفْسُودًا لَهُ، فَكَذَلِكَ فِي حَالِ كَمَالِ الْعَقْلِ إِذَا صَارَ بِحَيْثُ يَفْسُدُ الْمَالُ، جَازَ الْحَجْرُ عَلَيْهِ، وَهُوَ الْمَشْهُورُ فِي أَخْبَارِنَا. وَمَنْ النَّاسُ مَنْ قَالَ: لَا يَجُوزُ الْحَجْرُ عَلَى الْعَاقِلِ، ذَكَرْنَاهُ فِي الْخُلَافِ. وَقَوْلُهُ: (فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا) فَهُوَ خَطَابُ لَوْلِيَاءِ الْيَتِيمِ، أَمْرُهُمْ بِالْعَالِي إِذَا بَلَغَ الْيَتِيمَ، وَأَوْنَسَ مِنْهُ الرُّشْدَ، عَلَى مَا فَسَّرْنَاهُ، أَنْ يَسْلَمَ إِلَيْهِ مَالَهُ، وَلَا يَحْبِسَهُ عَنْهُ. وَقَوْلُهُ: (وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا) مَعْنَاهُ بَغِيرَ مَا أَبَاحَ اللَّهُ لَكُمْ. وَقَالَ الْحَسَنُ، وَالسَّدي: الْإِسْرَافُ فِي الْأَكْلِ. وَأَصْلُ الْإِسْرَافِ تَجَاوُزُ الْحَدِّ الْمُبَاحِ إِلَى مَا لَمْ يَبَحْ، وَرَبَّمَا كَانَ ذَلِكَ فِي الْإِفْرَاطِ، وَرَبَّمَا كَانَ فِي التَّقْصِيرِ غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ فِي الْإِفْرَاطِ يُقَالُ مِنْهُ: أَسْرَفَ يَسْرِفُ إِسْرَافًا، وَإِذَا كَانَ فِي التَّقْصِيرِ يُقَالُ: سَرَفَ يَسْرِفُ سَرْفًا، يُقَالُ: مَرَرْتُ بِكُمْ فَسَرَفْتُكُمْ، يُرِيدُ: فَسَهَوْتُ عَنْكُمْ، وَاخْطَأْتُكُمْ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ: أَعْطَوْا هَنِيْدَةً يَحْدُوهَا ثَمَانِيَةٌ * مَا فِي عَطَائِهِمْ مِنْ وَلَا سَرْفٍ (1) يَعْنِي لَاطِئًا فِيهِ، يُرِيدُ أَنَّهُمْ يَصِيبُونَ مَوَاضِعَ الْعَطَاءِ فَلَا يَخْطِئُونَهَا. وَقَوْلُهُ: " وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا " فَالْبِدَارُ وَالْمُبَادَرَةُ مُصْدَرَانِ، فَهِيَ الْإِثْمَانَةُ أَوْلِيَاءُ الْيَتَامَى أَنْ يَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِسْرَافًا بَغِيرَ مَا أَبَاحَ اللَّهُ لَهُمْ أَكْلَهُ، وَلَا مُبَادَرَةً مِنْكُمْ بِلُغْوِهِمْ، وَإِنْ نَاسَ الرُّشْدَ مِنْهُمْ، حَذَرًا أَنْ يَبْلُغُوا، فَيُلْزَمُكُمْ تَسْلِيمُهُ إِلَيْهِمْ، وَبِهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَالْحَسَنُ، وَالسَّدي، وَابْنُ زَيْدٍ. _____ (1) قَائِلُهُ جَرِيرٌ دِيَوَانُهُ 2: 15 وَاللِّسَانُ (هَنْدٌ) وَ (سَرْفٌ) وَهُوَ مِنْ قَصِيْدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَيَهْجُو آلَ الْمُهَلَّبِ. قَوْلُهُ: (هَنْيْدَةٌ) اسْمٌ لِكُلِّ مِئَةٍ مِنَ الْإِبِلِ، وَ (هَنْيْدٌ) لَا يَصْرِفُ وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ الْآلِفُ وَاللَّامُ وَلَا يَجْمَعُ وَلَيْسَ لَهُ وَاحِدٌ مِنْ جَنْسِهِ. وَ (ثَمَانِيَةٌ) أَيُّ ثَمَانِيَةٍ مِنَ الْعَبِيدِ: وَكَانَ فِي الْمَخْطُوطَةِ وَالْمَطْبُوعَةِ (عَطَاءُكُمْ) وَهُوَ مُنَاسِبٌ فِي الْمَعْنَى وَلَكِنْ لَمْ أَجِدْ أَحَدًا يَرْوِيهِ إِلَّا (عَطَائِهِمْ).